

أهل البيت في مصر

ومع الفرحة تكون النبوءة: هذه الطفلة النبوية تنتظرها من أيام الجهاد أشقها وأثقلها على القلب وطأةً...» فهم يذكرون أن سلمان الفارسي أقبل على علي بن أبي طالب يهنئه بوليدته، فألفاه واجماً حزيناً، يتحدث عمًا سوف تلقى ابنته في كربلاء...!» [279]. وتحت ظلال هذه النبوءة تنمو زينب في كنف الرسول مع أمها فاطمة سنوات خمساً، أو تقارب الست، وتدرج طفلة رصينة ناضجة، لاتفارق أمماً مجاهدة متبتلة، تسابقها في إسباغ الوضوء، وتلاحقها في إقامة الصلاة، ترشف وتتعلّم، وتحاكي كل حركة وسكنة تفعلها الأمّ البتول التي هي أشبه خلق الله بالرسول (صلى الله عليه وآله). وفاطمة تحتضن زينب بين ابتسامة ورقرقة دمعة، تدعو لها: «جعل الله فيك الخير يا زينب، وفي أبنائك البرّرة الأتقياء، وكأنّي يا ابنتي أنظر إليك وأنت تدافعين عن الحقّ المهضوم، بمنطق فصيح ولسان عربيّ مبین». ثم تأتي اللحظة التي تلحق فيها الأم القدوة بأبيها العظيم في رحاب الله، حزينه، غاضبه، وقد أوجعها أن ترى الحقّ يخرج من مكمنه، وبشفافية التقي والتبتل تراه، وقد استدرجته الأهواء؛ ليكون كرةً تتقاذفها العاصفة الفاتنة، التي سوف يستشهد فيها زوجها وأبنائها وأهل بيتها، صرعى مجندين [280]، لا يؤنسهم إلاّ الحقّ في وحشة الطريق. وغريب: لاتشعر زينب بنقل هذا اليتيم الرهيب المبكّر، حين يفقد الإنسان أمماً ليست ككلّ الأمّات، فكأنّها استثقلت على أمّها مواصلة الحياة بعيداً عن النبي المفدّى، فأثرت لها سعادة اللقاء به على مرارة الفراق عنها، فداء لها، وبرهان حبّ سخي. وتوصيها فاطمة في ثقة واحترام أن تكون «أمماً لأخويها: الحسن والحسين!» وتنفّذ زينب الوصية بدقّة والتزام، فتكون أمماً حقيقيةً، وهي لم تتجاوز السادسة، لاتفارق أخويها، حتّى بعد زواجها وزواجهما، لتبقى دائماً أمماً لهما، ثم لتصير من بعد ذلك أمماً للشهداء في كلّ زمان ومكان!